

البناء النحوي لصورة التشبيه البليغ - دراسة نحوية بلاغية**The grammatical structure of the eloquent simile figure - a grammatical rhetorical study**

د. مجاهد تامي* (1)

جامعة د/ مولاي الطاهر - سعيدة (الجزائر)

medjahedtami20@gmail.com

د. شعيب يحيى (2)

جامعة د/ مولاي الطاهر - سعيدة (الجزائر)

Yahiachaib_7@yahoo.com

تاريخ النشر: 2022/12/30

تاريخ القبول: 2022/12/18

تاريخ الإرسال: 2022/08/25

الملخص:

يتحدث هذا البحث عن مُصطلح التشبيه البليغ وما يحمله من دلالاتٍ مختلفةٍ في علم البلاغة، كما يعرض اختلافاتِ رؤيةِ البلاغيين لهذه الصورة، فبعضُهُم جعلها من التشبيه، وآخرون جعلوها من الاستعارة. ثم يعرجُ للحديثِ عن أشكاله النحوية المختلفة، فالتشبيه البليغ لا يلزم شكلاً نحوياً بعينه، بل هو يتشكّل بِصُورٍ تركيبية متعدّدة. وقد اعتمدَ هذا البحثُ المنهجَ الوصفي التحليلي، مُستعيناً ببعض التمثيلات اليسيرة ومقاربتها بلاغياً.

الكلمات المفتاحية: التشبيه البليغ، البنية، الصورة، النحو، البلاغة.

Abstract:

This research talks about the term eloquent simile, and the different meanings it carries in the science of rhetoric.

It also presents the differences in the vision of the scholars of Arabic rhetoric for this figure, some of them made it a simile, and others made it a metaphor. Then he turns to the talk about its different grammatical forms, for the eloquent analogy does not have one grammatical form only, and this research has adopted the descriptive analytical approach, using some simple representations.

Keywords : eloquent simile, structure, Figure, grammar, rhetoric.

* المؤلف المرسل : د. مجاهد تامي

1. مقدمة:

ارتبط مصطلح التشبيه البليغ في علم البيان بصورة التشبيه محذوف الأداة والوجه، وقد شاع في البرامج التدريسية المختلفة بتركيبه الإسنادي (المشبه مبتدأ، والمشبه به خبر)، غير أن نظرة في تراثنا البلاغي وأساليبنا الأدبية تجعلنا نلمح ما يحمله هذا المصطلح من مفاهيم متباينة من جهة، ومن آراء مختلفة في تشريح صورته بين الحقيقة والمجاز من جهة أخرى. وكذا تتوع صورته النحوية في تشكيل بنيتها. فما هي الدلالات المختلفة التي يحملها مصطلح (التشبيه البليغ)؟ وما أشكاله التركيبية التي تكتسبها صورته؟ هذه الإشكالية هي التي سيجيب عنها البحث، مُعتمدا المنهج الوصفي التحليلي، ومُستعينا ببعض التمثيلات اليسيرة في إجراء المقاربة البلاغية. وقد سارت خطة بحثنا وفق المحاور التالية:

- مفهوم التشبيه البليغ وبنيات تشكيله عند البلاغيين.
- صور المركبات النحوية للتشبيه البليغ.

2. مفهوم التشبيه البليغ وبنيات تشكيله عند البلاغيين

2.1 مفهوم التشبيه البليغ وإشكالية المصطلح:

إذا بحثنا في كتب البلاغة قديمها وحديثها عن مصطلح (التشبيه البليغ) سنجد أنه يحمل ثلاثة مفاهيم، أحدها اشتهر في الساحة البلاغية أكثر من الآخرين. وسنطرق كل مفهوم على حدة:

2.1.1 التشبيه البليغ هو محذوف الأداة والوجه:

اشتهر هذا المفهوم في غالب كتب البلاغة الحديثة والمصطلحات اللغوية. وكلها تحوم على تعريف واحد بصياغات مختلفة. فهذا صاحب (جواهر البلاغة) يقول في تعريفه: "وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه" (الهاشمي، 1999م، ص 237).

وصاحب (البلاغة الاصطلاحية) يجعل التشبيه أربع صور هي: (يُنظر قليلا، 1992م،

ص 48)

- الطرفان والركنان مثل: محمد كالأسد في الشجاعة.
- الطرفان وركن واحد هو الأداة مثل: محمد الأسد.
- الطرفان وركن واحد هو وجه الشبه مثل: محمد أسد شجاعاً.
- الطرفان فقط مثل: محمد أسد.

ثم بناءً على هذه الصور يجعل التشبيه على ثلاث مراتب: تأخذ الصورة الأولى المرتبة الدنيا، وتأخذ صورتان الثانية والثالثة المرتبة الوسطى، وتأخذ الصورة الرابعة المرتبة العليا. ثم يقول عن هذه الأخيرة: "ويُسَمِّيها البلاغيون التشبيه البليغ. والتشبيه البليغ أعلى درجات التشبيه في البلاغة الاصطلاحية" (قليلية، 1992م، ص49).

وأما سبب تسميته بالبليغ، فكما يقول صاحب (علوم البلاغة): "أَنَّ حَذْفَ الْوَجْهِ وَالْأَدَاةَ يُوهِمُ اتِّحَادَ الطَّرْفَيْنِ وَعَدَمَ تَفَاوُلُهُمَا، فَيَعْلُو الْمَشَبَّهُ إِلَى مَسْتَوَى الْمَشَبَّ بِهِ، وَهَذِهِ هِيَ الْمَبَالِغَةُ فِي قُوَّةِ التَّشْبِيهِ. أَمَّا ذِكْرُ الْأَدَاةِ فَيُعِيدُ ضَعْفَ الْمَشَبَّهِ وَعَدَمَ إِحَاقِهِ بِالْمَشَبَّ بِهِ، كَمَا أَنَّ ذِكْرَ الْوَجْهِ يُعِيدُ تَقْيِيدَ التَّشْبِيهِ وَحَصْرَهُ فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ" (المراغي، 1993م، ص233).

ولمثل هذا أيضا تذهب كتب المصطلحات، فنجد صاحب (معجم المصطلحات البلاغية) يُعَرِّفُهُ: "هو التشبيه الذي يُحذف فيه وجه الشبه وأداة التشبيه. وسَمَّوْا مثل هذا بليغا لما فيه من اختصار من جهة، وما فيه من تصوّرٍ وتخيّلٍ من جهة أخرى، لأنَّ وجه الشبه إذا حُذِفَ ذَهَبَ الظنُّ فيه كُلِّ مَذْهَبٍ وَفَتَحَ بابَ التَّأْوِيلِ، وَفِي ذَلِكَ مَا يُكْسِبُ التَّشْبِيهِ قُوَّةً وَرُوعَةً وَتَأْثِيرًا" (مطلوب، 1986م، ج2 ص180).

وهو أيضا ما ذكره صاحب (معجم المصطلحات العربية) بعد أن اختار ترجمته إلى (eloquent comparison)، يقول: "هو ما حُذِفَ فِيهِ كُلُّ مِنَ الْأَدَاةِ وَوَجْهِ الشَّيْءِ" (وهبة، المهندس، 1984م، ص100).

ولو رَجَعْنَا إِلَى مَا قَبْلَهُمْ وَنَقَّبْنَا فِي كُتُبِ التَّرَاثِ الْبَلَاغِي لَمَا عَثَرْنَا لِهَذَا الْمَفْهُومِ عَلَى نِسْبَةٍ وَاضِحَةٍ أَوْ مَصْدَرٍ مَحَدَّدٍ يُسْتَنَدُ إِلَيْهِ. عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وَجُودِ مِصْطَلَحِ (التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ) عِنْدَهُمْ، وَلَكِنْ لَيْسَ بِهَذَا الْمَفْهُومِ، بَلْ بِمَفْهُومِ مَغَايِرٍ كَمَا سَنَرَى فِي الْمَطْلَبِ الْمَوَالِي.

2. 1. 2 التشبيه البليغ هو البعيد الغريب:

يُعدُّ الْخَطِيبُ الْقَرْوِينِي (ت 739هـ) أَوَّلَ مَنْ عَرَّفَ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغَ بِهَذَا التَّعْرِيفِ، يَقُولُ: "وَالْبَلِيغُ مِنَ التَّشْبِيهِ مَا كَانَ مِنْ هَذَا النُّوعِ، أَعْنِي الْبَعِيدَ لِعَرَابَتِهِ" (القزويني، 2003م، ص198). وَالْبَعِيدُ الْغَرِيبُ عِنْدَهُ هُوَ مَا لَا يُنْتَقَلُ فِيهِ مِنَ الْمَشَبَّهِ إِلَى الْمَشَبَّ بِهِ إِلَّا بَعْدَ فِكْرٍ لِحْفَاءِ وَجْهِهِ فِي بَادِي الرِّأْيِ، وَسَبَبُ خَفَائِهِ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا كَوْنُهُ كَثِيرَ التَّفْصِيلِ.. وَالثَّانِي نُذُورَ حُضُورِ الْمَشَبَّ بِهِ فِي الذَّهْنِ (يُنْظَرُ الْقَرْوِينِي، 2003م، ص193).

هذا تعريف التشبيه البليغ عند القزويني. وأما التشبيه محذوف الأداة والوجه عنده فيُسمى تشبيها مؤكداً مُجْمَلًا، أي مؤكداً باعتبار حذف الأداة، ومُجْمَلًا باعتبار حذف وجه الشبه.

وإذا تتبّعنا لفظ (التشبيه البليغ) في مصادر البلاغة قبل القزويني، سنعثّر على مَوْضِعَيْن في تفسير الزمخشريّ (ت 538هـ) (يُنظر الزمخشريّ، 1987م، ج 1 ص 76، وص 231)، وموضعٍ واحدٍ في مفتاح السكّكيّ (ت 626هـ) أثناء حديثه عن الاستعارة التخيلية إذ قال: "مثل أن تُشَبَّهَ المنية بالسبع في اغتيال النفوس وانتزاع أرواحها.. تشبيهاً بليغاً حتى كأنها سبعٌ من السباع" (السكّكي، 1987م، ص 376).

والزمخشريّ والسكّكيّ حين ذكروا (التشبيه البليغ) لم يذكروا صراحةً أنهم يقصدون التشبيه محذوف الأداة والوجه، حتى إنّ السكّكيّ حين تحدّث عن محذوف الأداة والوجه في أقسام التشبيه لم يُسمِّهِ بليغاً.

ولعلّ هذه المواضع القليلة لما كانت محذوفة الأداة والوجه ولما سُمِّيَت باسم التشبيه البليغ هي التي جعلت البلاغيين المتأخّرين بعد ذلك يربطون مصطلح (التشبيه البليغ) بحذف الأداة والوجه، ويُسمّون التشبيه المؤكّد المجلّم تشبيهاً بليغاً.

فاشتهر معنى (حذف الأداة والوجه) في مصطلح التشبيه البليغ، وغلب على معنى (التشبيه البعيد الغريب) الذي ذكره القزويني، فكان هذا الإطلاق الشائع طريقةً لبعضهم كما يقول الدسوقي (ت 1230هـ): "والحاصل أنّ بلاغة التشبيه منظورٌ فيها إلى كونه بعيداً غريباً سواء كان وجه الشبه فيه تركّب من أمور كثيرة أو لا، وسواء ذُكرت الأداة أو حُذفت، وحينئذٍ فإطلاق البليغ على التشبيه الذي حُذفت أداؤه إطلاقاً شائعاً طريقةً لبعضهم، وإلا فهو يُسمّى مؤكّداً" (الدسوقي، ج 3 ص 457).

وبالتأمّل في تعريف القزويني للتشبيه البليغ بأنّه البعيد الغريب، يظهر جلياً أنّه يشترطُ حَفَاءَ وَجْهِ الشبه، أي: كونه يحتاج لنظرٍ وتأمّلٍ بسبب نُدرته أو لكثرة ما فيه من تفاصيل، وهذا يستلزم كَوْنَ وَجْهِ الشبه محذوفاً.

بمعنى أنّ من شُرُوطِ التشبيه البليغ عند القزويني كَوْنَ وَجْهِ الشبه محذوفاً، وأنّ يحتاج استخراجُهُ لنظرٍ وتأمّلٍ. فكلُّ تشبيهٍ بليغٍ هو تشبيهٌ محذوفٌ الوجه، ولكن ليس كلُّ تشبيهٍ محذوفٍ الوجه هو تشبيهٌ بليغ.

ويبدو أنّ الخطيب القزويني فهم هذه المعاني من كلام سابقه كالزمخشريّ والسكّكيّ، وإن كان هذين الأخيرين ذكرا المصطلح في سياقاتٍ تطبيقية ولم يشرحا معناه. بيد أنّ الذين جاؤوا بعد القزويني أهملوا الشطر الأساسي للبليغ (البُعد والغرابة) واقتصروا على حذف الوجه والأداة.

وأما سببُ تسميته بليغاً في إطار هذا المفهوم، فقليل لأنه بلغ القبول من القلوب (يُنظر السبكي، ج 3 ص 459)، فالبليغ هو الواصل لدرجة القبول، وهو من البلوغ بمعنى الوصول أو اللطيف الحَسَن،

مأخوذةً من البلاغة بمعنى اللطف والحسن مجازاً (يُنظر الدسوقي، ج 3 ص 457). وهو الذي لا يُدرّكه ابتداءً في الغالب إلا الخواص، ويتخاطبُ به أُنكِياءُ البلغاء ويستحسنونه فيما بينهم، ولا يتخاطبُ به غيرهم إلا أخذاً عنهم وتقليداً، والأمرُ المختصُّ بالخواص يُعدُّ بليغاً حسناً لعدم مشاركة العامة فيه. وكان أيضاً بليغاً لكمال لادته لأنه لا يُنال إلا بعد التأمل والطلب، بخلاف المبتذل فهو يتمكّن كلُّ أحدٍ منه بلا طلبٍ وتأمّلٍ، فلا يحصل الشوق إليه، وما لا يُطلب بالشوق لا كمالَ لذّةٍ فيه (يُنظر المغربي، ج 3 ص 456).

2. 1. 3 التشبيه البليغ هو المطابق لمقتضى الحال:

صفة (البليغ) هنا مأخوذةً من البلاغة المصطلح عليها، أي ما كان مُطابقاً لمقتضى الحال. وهي صفةٌ يوصفُ بها الكلامُ المتضمّنُ للتشبيه، فالتشبيه يكون بليغاً هنا باعتبار المطابقة لمقتضى الحال، وليس لحذف الأداة والوجه، أو لبعده وعرابته.

وفي هذه الحالة قد تُطلقُ صفة (البليغ) على التشبيه حتى وإن كان منكور الأداة والوجه، أو كان قريباً مُبتذلاً. إذ ربما كان التشبيه القريب المبتذلّ مُطابقاً لمقتضى الحال كما إذا كان الخطاب مع شخصٍ يقتضي حاله تشبيهاً مُبتذلاً لبلادته وسوء فهمه، فلا يكون الغريب بليغاً بل القريب المبتذل (يُنظر المغربي، ج 3 ص 456. وينظر حاشية الدسوقي، ج 3 ص 457).

فهذا مُتوقّفٌ على القيمة الفنية للأداء الأدبي جملة، فلن يشفع التشبيه البليغ (بالمفهوم 1 أو 2) للكلام الرديء، كما لن يحطّ التشبيه غير البليغ (بالمفهوم 1 أو 2) شأنَ الكلام الجيد.

2. 2. 2 بنية التشبيه البليغ بين الحقيقة والمجاز:

اختلفَ البلاغيون في الصورة محذوفة الأداة والوجه ك (زيد أسد)، أي تشبيه أو استعارة؟. غالبُ البلاغيين يرون أنه تشبيهٌ ويُسمّونه تشبيهاً بليغاً، وبعضهم يرون أنه محتملٌ للتشبيه أو الاستعارة.

2. 2. 1 الرأي الأول: اختيار التشبيه البليغ

يرى جمهورُ البلاغيين أنّ (زيد أسد) تشبيهٌ بليغ، ويؤكدُ القزويني أنّ هذا الوجه هو اختيارُ المحقّقين بقوله: "وما اخترناه هو الأقربُ لما أوصَحنا من المناسبة، وهو اختيارُ المحقّقين كالقاضي أبي الحسن الجرجاني والشيخ عبد القاهر والشيخ جار الله العلامة والشيخ صاحب المفتاح رحمهم الله" (القزويني، 2003م ص 214). ومثله أيضاً السعد النفتازاني (ت 792هـ) يقول: "فإنّ المحقّقين على أنه تشبيه بليغ لا استعارة، لأنّ الاستعارة إنما تُطلق حيث يُطوى ذكرُ المستعار له بالكليّة" (النفتازاني، ج 3 ص 297).

فحيث يُطوى بالكليّة فهو استعارة، وإلا فهو تشبيه، رغم كونه لفظاً واحداً في الحالين، فالتفريق بينهما في الاصطلاح البلاغي ضروري، كما هو الشأن في الاصطلاح النحوي. فمثلا كلمة (ظريف) تقيّد ظرافة زيد في الجملتين: (زيد ظريف) و(جاءني زيد الظريف)، إلا أنّ الاصطلاح النحوي يفرق بينهما، فالأولى خبر والثانية صفة. فكذاك يجب أن يكون الاصطلاح البلاغي في لفظ (أسد) بين الجملتين: (جاءني أسد) و (زيد أسد)، ينبغي أن لا يدعونا الاتفاق في مُطلق التشبيه إلى التسوية بينهما، بل وجب أن نفرّق فنسمّي ذلك الاستعارة وهذا تشبيها (الجرجاني، 2001م، ص234).

وأما تركيب (زيد أسد) فقد شَبّه فيه زيداً بالأسد، وحُدِّثت أداة التشبيه ووجه الشبه (الشجاعة). وذكّر المشبّه به على وَجْهٍ يَصِحُّ فيه تقدير أداة التشبيه لفظاً، وجُعِلَ دالّاً على معناه الحقيقي. وذلك أنّ حاصل التشبيه البليغ الإِدْعَاءُ، والإِدْعَاءُ لا يُخْرِجُ الشيءَ عَنْ أصله، فَرُوعِيَ فيه تقديرُ الأداة في نفس الأمر، واكْتَفِيَ بالإِدْعَاءِ بالصورة الظاهرة المقيدة لمطلق المبالغة، فأبْقِيَ كلُّ لفظٍ على معناه (المغربي، ج4 ص55).

2. 2. 2 الرأي الثاني: احتمال التشبيه أو الاستعارة

الحقيقة أنّ جمهورَ البلاغيين من أصحاب الرأي الأول يُعْرَوْنَ بوجود احتمال الاستعارة، غير أنهم اختاروا الإقتصارَ على التشبيه باعتباره التحليل الأفضل.

لكن بعض البلاغيين كالسبكي (ت 773هـ) رَفَضَ أن يُقَصِّرَ التحليلُ على التشبيه، ورأى أنّ المقام هو الذي يُعَيَّنُ الاختيار، يقول: "زيد أسد يَصِحُّ أن يكون تشبيهاً وأن تكون استعارة بحسب المقام" (السبكي، ج3 ص301). وقد أسهَبَ في إثبات هذا الرأي وَوَضَعَ ردوداً واستدلالاتٍ تُقَوِّي صِحَّةَ الاستعارة مثلما يَصِحُّ التشبيه. ف(زيد أسد) يَصِحُّ أن يَكُونَ تشبيهاً وَيَصِحُّ أن يكون استعارة (يُنظر السبكي، ج4 ص58).

ومن أبرز الوجوه التي ذكروها للاستعارة أنّ لفظ (أسد) يُقَصِّدُ به (الرجل الشجاع). أي إنّ لفظ (أسد) مُؤَوَّلٌ بمشتقٍّ، وعبارة (زيد أسد) تقديرها (زيد رجلٌ شجاعٌ كأسد).

فالتشبيه واقِعٌ بين (رجل شجاع) و(أسد)، وقد حُدِّثَ المشبّه وأداة التشبيه وتُنَوِّسِي التشبيه، واستعمل المشبه به في معنى المشبه على سبيل الاستعارة. لأنّ المشبه وهو الرجل الشجاع لم يُذكر لفظه، وقد ذُكِرَ المشبّه به مكانه مخبراً به عن زيد (يُنظر الدسوقي، ج4 ص53).

أي إنّ المشبّه هو رجل شجاع (محذوف). المشبّه به هو أسد (مذكور). والصورة بهذا التحليل استعارة تصرّحية.

فالقول بالاستعارة مَبْنِيٌّ على أَنَّ الأَسَدَ مُسْتَعْمَلٌ في غير معناه الحقيقي، قَضَاءً لحقِّ المبالغة المقصودة في إجراء الأُسدية على زيدٍ. فوجبَ هنا أن يكون لفظُ الأَسدِ منقولاً من معناه الحقيقي الحيوان المفترس إلى معنى مجازي هو الرجل الشجاع. "وإذا تحقَّقَ هذا صدَقَ أَنَّ الأَسدَ لفظٌ تضمَّنَ تشبيهُه معناه وهو ذاتٌ مَصْدُوقَةٌ للشجاعة بما وُضِعَ له أصالةً وهو الحيوان المفترس" (المغربي ج 4 ص 52).

وتجدر الإشارة هنا إلى أَنَّ عبدَ القاهر اختارَ التَّشْبِيهَ، ولكنه أجازَ الاستعارة بحسبِ حُسْنِ دخول أدوات التشبيه، كما يلي: (يُنظر الجرجاني، 2001م، ص 234)

- إنَّ حَسَنَ دُخُولِ أدوات التشبيه: كأنَّ يكون المشبَّه به معرفة، مثل (زيد الأَسد) فهو تشبيه، وإطلاقُ الاستعارة أبعد.
- إنَّ حَسَنَ دُخُولِ بعضها دُونَ بعضٍ: كأنَّ يكون المشبَّه به نكرة غير موصوفة، مثل (زيدُ أَسد) فإطلاقُ الاستعارة أهون.
- إنَّ لم يحسُنْ دُخُولُ شَيْءٍ منها: كأنَّ يكون المشبَّه به نكرة موصوفة بما لا يُلائمها، مثل (زيدُ أَسدٍ يرمي بالنشَّاب) فإطلاقُ الاستعارة أقرب.

3. صُورُ المَرْكَبَاتِ النَحْوِيَّةِ للتَّشْبِيهِ البَلِيغِ:

3. 1 المَرْكَبُ الإِسْنَادِي الفِعْلِي: (المشبَّه به مَصْدَرٌ مُبَيَّنٌ لنوع المشبَّه)

نكر النُّحَاة أَنَّ المَفْعُولَ المَطْلُوقَ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٌ: المَوْكِدُ لِعَامِلِهِ، والمَبِينُ لِنوعِهِ، والمَبِينُ لِعَدَدِهِ (يُنظر ابن عقيل، 1980م، ج 2 ص 169).

والقسمُ الثاني المَبِينُ لنوعه يأتي على أشكالٍ مُتَعَدِّدَةٍ، أَوْصَلَهَا الأَشْمُونِي (ت 900هـ) إلى ثلاثة عشر سَكَلًا (يُنظر الأَشْمُونِي، 1998م، ج 1 ص 469-471).

بعضُ هذه الأشكالِ قد يكتسي صورة التشبيه، فيكون المشبَّه في جهة (الفعل)، والمشبَّه به في جهة (المفعول المطلق)، وذلك مثل (راغ زيدٌ رَوَّغَانَ الثعلب)، أو (صفا الماءُ صفاءَ اللُّجَيْنِ).

في المثال الأول شُبَّهَ رَوَّغَانُ زَيْدٍ بِرَوَّغَانَ الثعلب، وفي الثاني شُبَّهَ صَفَاءُ المَاءِ بِصَفَاءِ اللُّجَيْنِ. وفيهما معاً ذُكِرَ الطرفان فقط، وحُذِفَتِ الأداة والوجه.

فالمشبَّه في هذا المَرْكَبِ هو مصدر الفعل، وهو الحَدَثُ المَجْرَدُ المقصودُ تبيينُ هَيْئَتِهِ ونوعه عن طريق تشبيهه بالمشبَّه به المفعول المطلق. ليكون لدينا تشبيه مصدر بمصدر، الأول مصدرٌ مفهوم والثاني مصدرٌ مذكور.

ومن النماذج في شعرنا العربي، قول المتنبي (ت 354هـ) (يُنظر شرح ديوان المتنبي، 1986م، ج 4 ص 46):

بليتُ بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في التراب خاتمته
والمعنى: يدعو الشاعر على نفسه بأن يئلى بلى الأطلال، إن لم يقف بأطلال الأجابة متوجعاً لها
منحنياً، كما يفعل الشحيح إذا فقد خاتمته ووقف يتلمسه في التراب.

احتوى هذا البيت على تشبيهيْن اثنين من النوع الذي نحن بصدده: الأول في قوله (بليتُ بلى الأطلال)، والثاني (إن لم أقف بها وقوف).

في الموضع الأول: يدعو الشاعر على نفسه بالبلى، فشبهه (بالأطلال)، والمشبه به (البلى) مفعول مطلق مصدر مبيّن لنوع البلى.

وفي الموضع الثاني: يُشبهه الشاعر (وقوفه بالأطلال) بـ(وقوف الشحيح الذي ضاع خاتمته)، والمشبه به (الوقوف) مفعول مطلق مبيّن لنوع الوقوف.

ففي الموضعين تشبيه بليغ، شُبه فيهما المصدر المفهوم من الفعل بالمصدر المبيّن لنوع الفعل. ومثله أيضاً في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: 88].

3. 2 المركب الإسنادي الاسمي: (المشبه به خبر للمشبه المبتدأ)

للجملة الاسمية ركنان أساسيان، متلازمان تلازماً مطلقاً، حتى اعتبرهما سيبويه (ت 180هـ) كأنهما كلمة واحدة، وهما المبتدأ والخبر. والمبتدأ هو الاسم الذي يقع في أول الجملة، لكي نحكم عليه بحكم ما، وهذا الحكم الذي نحكم به على المبتدأ هو الذي نسميه الخبر، فهو الذي يكمل الجملة مع المبتدأ ويتم معناها الرئيسي (يُنظر الراجحي، 1998م، ص 84).

وجملة المبتدأ والخبر (زيد أسد) تقتضي أننا حكّمنا على (زيد) بحكم (الأسدية)، ولَفِظُ (أسد) حين وَقَعَ خيراً لزيد استلزم أن يكون هو نفسه كقولنا (زيد منطلق) في أن زيدا هو نفسه المنطلق. لكن العقل يرفض أن يكون زيد هو الأسد، فلزم الذهاب إلى التشبيه بينهما وجعل أداتيه مقدرة (يُنظر السكاكي، 1987م، ص 354).

ويلحق بهذا القسم أيضاً المبتدأ والخبر اللذان تدخل عليهما النواسخ الحرفية أو الفعلية. ومنها:

- ما ينصب المبتدأ ويرفع الخبر: ك (إن وأخواتها) مثل: إن زيدا أسد.
- وما يرفع المبتدأ وينصب الخبر: ك (كان وأخواتها) مثل: كان زيداً أسداً.
- وما ينصب المبتدأ والخبر: كالأفعال التي تنصب مفعولين، مثل: عَلِمْتُ زيدا أسداً.

فهذه النواسخ كلها تدخل على ما كان أصله مبتدأ وخبرا فتنسخ حُكْمَهُ بِحُكْمِ آخِرٍ، لذلك أدرجنا الأفعال التي تنصب مفعولين في هذا الموضع من البحث، أي بسبب أن أصل المفعولين مبتدأ وخبر. وقد اختلف في هذه الأفعال ذات المفعولين، هل تُعدّ أداة تشبيه أو لا؟. والراجح أنها لا تُعتبر أداة، بل الأداة محذوفة (يُنظر الهاشمي، 1999م، ص236. والمراغي، 1993م، ص232). ومن النماذج الشعرية قولُ المتنبي: (يُنظر شرح ديوان المتنبي، 1986م، ج4 ص61)

أَيْنَ أَرْمَعْتَ أَيُّهَذَا الْهَمَامُ؟ نَحْنُ نَبْتُ الرَّبِّي وَأَنْتَ الْعَمَامُ

والمعنى: أين أرمعت أن تسير أيها الملك، ونحن الذين لا عيش لنا إلا بك، وإذا فارقتنا لم نعش، كُنبت الرُّبَا لا بقاء له إلا بالغمام. إذ لا شرب له إلا من مائه، أما نبت غير الرُّبَا فيمكن أن يشرب من الماء الجاري.

في هذا البيت شَبَّهَ الشاعر نفسه بِنَبْتِ الرُّبَا، وشَبَّهَ الملكَ بالغمام. وهما تشبيهان بليغان اثنان ذُكر فيهما الطرفان فقط، وجاءا بشكل مبتدأ وخبر. ومثله أيضا في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب:6].

3. 3 المركب الإضافي: (المشبه به مضاف إلى المشبه أو العكس)

يأتي التشبيه البليغ في المركب الإضافي على صورتين، إمّا أن يُضاف المشبه إلى المشبه به، فيكون المشبه مضافاً، والمشبه به مضافاً إليه، بحيث يكون الثاني بياناً للأول، مثل: (سال ماء اللجين) أي ماء هو اللجين. فهو تشبيه بليغ ذُكر بطريق الإضافة دون أداة ولا وجه شبه.

وإمّا أن يُضاف المشبه به إلى المشبه، فيكون المشبه به هنا مضافاً، والمشبه مضافاً إليه، وذلك مثل قول ابن خفاجة الأندلسي (ت 533هـ): (ديوان ابن خفاجة، 2006م، ص14)

والريخ تَعَبْتُ بِالْعُصُونِ وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ

أي: الأصيلُ الشَّيْبُ بِالذَّهَبِ، والماءُ الشَّيْبُ بِاللُّجَيْنِ. وقد تَصَمَّنَ هذا البيتُ تشبيهيَّين بليغيَّين من هذا النوع، إذ شَبَّهَ الْأَصِيلَ بِالذَّهَبِ، وشَبَّهَ الْمَاءَ بِاللُّجَيْنِ. فالمشبه هو (الأصيل) (الماء)، والمشبه به (الذَّهَبُ) (اللُّجَيْنِ). وقد وَرَدَا بطريق إضافة المشبه به إلى المشبه، دون ذكر أداة ولا وجه شبه.

3. 4 المركب الوصفي: (المشبه به نعت للمشبه)

الأصل في النعت أن يكون مُشْتَقًّا (يُنظر ابن هشام، 1990م، ص285). نحو: (مررتُ برجلٍ ضاحِكٍ). ولكن قد يُنعتُ بالجامد كثيرا (يُنظر الرضي، 1993م، ص973-983).

ومن بين صوره أن يوجَدَ جنسٌ مشهور بمعنى من المعاني يوصفُ به جنسٌ آخر، مثل (مررتُ برجلٍ أسدٍ). وهو بتقدير التشبيه كما ذكر صاحبُ المقتضب (يُنظر المبرّد، ج 3 ص 342)، أي (برجلٍ مثل أسدٍ).

فالمرادُ تشبيهه (المنعوت) بـ(النعت)، المشبه هو (رجل)، والمشبه به هو (أسد)، والأداة والوجه محذوفان، فالتشبيه بليغ بهذا التحليل.

ومن صوره أيضاً قولهم (مررتُ برجلٍ فضّةٍ حليّةٍ سيفه)، فقد وُصِفَ باسم الجنس (فضّة)، وهو اسم جامد. ولذلك حُمِلَ المعنى على تقدير التشبيه (يُنظر الرضي، 1993م، ص 983)، أي: (حليّة سيفه كالفضّة)، المشبه هو حليّة سيفه، والمشبه به هو الفضّة. ذكر الطرفان فقط، فالتشبيه بليغ. وقد ذكر النحاة أن جرّ الصفة (فضّة) يقتضي معنى التشبيه، وهو الراجح، فإن أريد الحقيقة، أي أن تكون الحليّة فضّة حقيقةً وجب هنا الرفع، فيقال (مررتُ برجلٍ فضّةٍ حليّةٍ سيفه) (السامرائي، 2000م، ج 3 ص 189).

3. 5 المركّب الحالي: (المشبه به حال للمشبه)

الحال في أصله يأتي مشتقاً، لكن قد يجيء جامداً على خلاف الأصل في بعض الأساليب من كلام العرب. من هذه الأساليب أن يقع الحالُ مشبّهًا به في جملةٍ تُفيدُ التشبيهَ إفادةً تبعيةً غير مقصودةٍ لذاتها، مثل: (كزّ زيدٌ أسداً)، (سال الماءُ لجينا)، (ترنّم المغنيُّ بلبلًا)، وكلُّ (حالٍ) من الثلاث يُعدُّ بمنزلة المشبه به، أي: كآسدٍ، كلجبنٍ، كبلبلٍ (عباس حسن. ج 2 ص 360).

فالمشبه هو (صاحب الحال)، والمشبه به هو (الحال)، والأداة والوجه محذوفان، فالصورة تشبيه بليغ بهذا التحليل.

ومن النماذج الشعرية قولُ المتنبي: (يُنظر شرح ديوان المتنبي، 1986م، ج 3 ص 340)

بَدَتْ قَمْرًا وَمَالَتْ خُوطَ بَانَ وَفَاحَتْ عَنبرًا وَرَنَتْ غَزَالًا

المعنى: بَدَتْ مُشْبِهَةً قَمْرًا فِي حُسْنِهَا، وَمَالَتْ مُشْبِهَةً غُصْنَ بَانَ فِي تَنبِيْهَا، وَفَاحَتْ مُشْبِهَةً عَنبرًا فِي طَيْبِ رَائِحَتِهَا، وَرَنَتْ مُشْبِهَةً غَزَالًا فِي سَوَادِ مَقْلَتِهَا.

فاجتمعت أربعة مركّباتٍ حاليةٍ في بيتٍ واحد، وَرَدَ فِي كُلِّ مِنْهَا صَاحِبُ الْحَالِ مُشْبَهًا، وَالْحَالِ مُشْبَهًا بِهِ. وَالْمُشْبَهُ وَاحِدٌ هُوَ الْمَحْبُوبَةُ الْمَتَّعِزُّلُ بِهَا، وَالْمُشْبَهُ بِهِ مُتَعَدِّدُ الْأَحْوَالِ، وَهُوَ أَسْمَاءُ الْأَجْنَاسِ التَّالِيَةِ: قَمْرٌ، خُوطُ بَانَ، عَنبرٌ، غَزَالٌ. وَقَدْ حُذِفَ فِي جَمِيعِهَا الْأَدَاةُ وَوَجْهُ الشَّبهِ، لِذَلِكَ عُدَّتْ هَذِهِ التَّشْبِيهَاتُ بَلِيغَةً.

3. 6 المركب البياني ب (من) البيانية: (المشبه به مجرور ب من البيانية)

يذهب جمهور النحاة إلى أنّ (من) الجارة قد تدلّ على بيان الجنس (يُنظر بديع إميل يعقوب، 2006م، ج 9 ص 171)، وَيَعْنُونَ أَنْ يُبَيِّنَ مَا بَعْدَهَا جِنْسَ مَا قَبْلَهَا، مِثْلُ: (هذا ثوب من حرير)، أي ثوب هو حرير، ومنه قوله تعالى: ﴿يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: 31].

وكثيراً ما يُفيد هذا البيان التشبيه مثل (جرى ماءً من لجين)، أي ماءً هو كاللجين. فيأتي المشبه به مبيناً للمشبه، والأداة والوجه محذوفان فهو تشبيهه بليغ.

ومن النماذج قول الشاعر: (يُنظر إيليا أبو ماضي الأعمال الشعرية الكاملة: 2008م، ص 579)

أَمَانِيَّ كُلُّهَا مِنْ تُرَابٍ وَأَمَانِيكَ كُلُّهَا مِنْ عَسَجْدٍ

شَبَّهَ الشَّاعِرُ أَمَانِيَّهٗ بِالتُّرَابِ، وَأَمَانِيَّ مَخَاطِبِهِ بِالعَسَجْدِ، وَجَاءَ بِالمَشْبَهَةِ بِهِ فِي المَوْضِعَيْنِ مَجْروراً بِ(من) البيانية التي أفادت التشبيه في هذا الشاهد. وذكر الطرفين فقط دون أداة أو وجه شبه.

4. خاتمة:

وفي ختام هذا البحث نوجز أهمّ النتائج في النقاط التالية:

- مُصْطَلِح (التشبيه البليغ) يَحْمِلُ فِي عِلْمِ البَيَانِ ثَلَاثَ دَلَالَاتٍ: الأولى: أنه التشبيه محذوف الأداة والوجه، وهو التعريف السائد عند جمهور البلاغيين كصورة من صور التشبيه.

الثانية: أنه التشبيه البعيد الغريب، وهو تعريف الخطيب القزويني للتشبيه البليغ. ويقصد به خفاء وجه الشبه بسبب ندرته أو كثرة تفاصيله.

الثالثة: هو التشبيه المطابق لمقتضى الحال، وهذا يشمل الكلام المتضمن للتشبيه.

- يُدْرِكُ البَلَاغِيُونَ أَنَّ الصُّورَةَ (محذوفة الأداة والوجه) تقبل تحليلين مختلفين: تحليل التشبيه، وتحليل الاستعارة. ولكنهم في الاختيار بينهما مُنْقَسِمُونَ: فأكثرهم اختار أنّ (زيد أسد) هو تشبيه في كل الأحوال، وبعضهم اختار أنّ (زيد أسد) تارة يكون تشبيهاً وتارة يكون استعارة بحسب المقام. والرأي الأول هو رأي جمهور البلاغيين.

- للتشبيه البليغ صورٌ متنوّعة من المركّبات النحوية، فهو لا يلزم شكلاً بعينه، بل يكتسي أشكالاً تركيبية مختلفة، منها أن يكون: المشبه به مصدراً مبيناً لنوع المشبه، أو يكون خبراً للمشبه، أو في حكم الخبر

كَخْبِرِ كَانَّ وَأَخَوَاتِهَا وَإِنَّ وَأَخَوَاتِهَا وَالْمَفْعُولُ الثَّانِي لِأَبَابِ (عَلِمَ)، أَوْ يَكُونُ الْمَشْبَهَ بِهِ مُضَافًا إِلَى الْمَشْبَهِ أَوْ الْعَكْسِ، أَوْ يَكُونُ الْمَشْبَهَ بِهِ نَعْتًا لِلْمَشْبَهِ، أَوْ حَالًا لَهُ، أَوْ مُبَيِّنًا لَهُ.

5. قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- الأشموني، ع. (1998م) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية.
- إيليا أبو ماضي. (2008م) الأعمال الشعرية الكاملة، جمعه عبد الكريم الأشتر، ط1 الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.
- إميل يعقوب، ب. (2006م) موسوعة علوم اللغة العربية، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية.
- البرقوقى، ع. (1986م) شرح ديوان المتنبي، بيروت: دار الكتاب العربي.
- النقتازاني، س. (دت) مختصر سعد الدين النقتازاني على تلخيص المفتاح، ج3 من كتاب شروح التلخيص، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجرجاني، ع. (2001م) أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن خفاجة. (2006م) ديوان ابن خفاجة، تحقيق عبد الله سنده، ط1 بيروت: دار المعرفة.
- الدسوقي، م. (دت) حاشية الدسوقي على شرح السعد، ج3 من كتاب شروح التلخيص، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الراجحي، ع. (1998م) التطبيق النحوي، ط2 الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- الرضي. (1993م) شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، القسم الأول تحقيق حسن الحفظي، ط1 السعودية: إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود.
- الزمخشري، م. (1987م) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3 بيروت: دار الكتاب العربي.
- السامرائي، ف. (2000م) معاني النحو، ط1 الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر.
- السبكي. (دت) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج3 من كتاب شروح التلخيص، بيروت: دار الكتب العلمية.
- السكاكي، ي. (1987م) مفتاح العلوم، ط2 بيروت: دار الكتب العلمية.
- عباس حسن. (دت) النحو الوافي، ط3 مصر: دار المعارف.

- ابن عقيل، ع. (1980م) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط20 القاهرة: دار التراث.
- القزويني، خ. (2003م) الإيضاح في علوم البلاغة- المعاني والبيان والبدیع، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية.
- قلقيلة، ع. (1992م) البلاغة الاصطلاحية، ط3 مصر: دار الفكر العربي.
- المبرّد، م. (دت) المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، بيروت: عالم الكتب.
- مجدي وهبة، وكامل المهندس. (1984م) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2 بيروت: مكتبة لبنان.
- المراغي، م، (1993م) علوم البلاغة، ط3 بيروت: دار الكتب العلمية.
- مطلوب أحمد. (1986م) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، العراق: مطبعة المجمع العلمي العراقي.
- المغربي، ابن يعقوب. (دت) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ج3 من كتاب شروح التلخيص، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الهاشمي، أ. (1999م) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، تدقيق يوسف الصميلي، ط1 صيدا بيروت: المكتبة العصرية.
- ابن هشام. (1990م) شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ط1، المدينة المنورة: مكتبة طيبة.